# الفصل الثالث

## العفـــة

- السـخاء .
- الحيـاء .
- الصبر .
- التسامح .
- القناعة .
- الورع .

obeikan.com

obeikan.com

# الفصل الثالث

## العفـــة

● **تعريف العفـة :**

العفـة هى ضـبط النفس عن الشـهوات وقسرها على الاكتفاء بما يقيم أود الجسـد ويحفظ عليـه صحته فقط واجتنـاب السرف والتقصير ، فى جميع اللذات ، وقصد الاعتدال وأن يكون ما تقتصر عليه من الشهوات على الوجه المستحب المتفق على ارتضـائه وفى أوقات الحاجة التى لا غنى عنها ، وعلى القدر الذى لا يحتاج الى أكثر منـه ولا يحرم النفس والقوة أقل منه وهذه الحال هى غاية العفة[1] .

والعفة أصـل لكثير من الفضائل الهامة كالصبر والقناعة والصدق والحلم والسـخاء والعدل فى الأخذ والعطاء ومن حرم العفة لم تقم له واحدة من هذه الفضـائل . فان من يفقد العفة يصبح كالخنزير النهم لا يصبر عن شـهوة ولا يثبت على صحن الأيام ولا يقنعه قليل ولا كثير ولا يمسـك لسـانه عن باطـل ولا يتورع عن الولوغ فى الأعراض ولا يسـتطيع أن يتخلص من تعطش نفسـه الى الانتقام مما انحطب الوسـائل اليه ، كما لا يستطيع أن يسـخو عند نداء صوت الواجب فيجود بما يقدر عليه ولا أن يعدل فى معاملته بل يتمنى لو عاد كل نفع اليه ، واجتمع كل خير لديه ، العفيف يعطى الكثير ان وجد ويكتفى بالقليل ان فقد ، ويجازى عن الصنيعة ان استطاع بمثلها أو خير منها بالشكر حين يعجز عنها[2] .

والعفة هى كف النفس عن المحارم وعما لا يحمل بالانسان فعله . ومنها : العفـة عن اقتراف الشهوة المحرمة ، وعن أكل المـال الحرام ، وعن ممارسـة ما لا يليق بالانسـان أن يفعله مما لا يتناسب مع مكانته

---

(١) انظر : الأخلاق ـ الجاحظ .

(٢) انظر : الاخـلاق فى الاسـلام والفلسـفة القديمة ـ أسـعد السحمرانى ، ص ١٠٢

الاجتماعية . ومما يراه الناس من الدناءات ، كالجشع فى الولائم والتسابق على اطايب الطعام . وكالجشع فى التجارة ومزاحمة صغار الكسبة فى مجالاتهم الحقيرة قليلة الموارد والأرباح ، وكالتعرض لمحقرات المنافع عن طريق التطفل أو ما يشبه التطفل الى غير ذلك من أمور كثيرة .

ويأتى فى مقابل العفة الدناءة والخسة فى كثير من صورها . والعفة من مكارم الاخلاق . والدناءة والخسة وكل ما ينافى العفة من رذائل الأخلاق[1] .

وربما وجد من لا يفرقون بين العفة والقناعة لتقارب مدلوليهما ولكثرة ما يقع فى اساليب اللغة من التسامح ، ولكن الفرق بين العفة والقناعة فى لسان علم الأخلاق ظاهر بين ، اذ العفة تقتضى ضبط النفس عن جميع الشهوات وعن كل ما لا يليق بانسان فاضل . فالعفيف تنهاه عفته عن التعرض للمحارم ما دق منها وما جل وعن الخوض فى الأعراض وعن مجاراة السفهاء . وعن كل ما يسىء الكرامة ، وعن مد العين الى ما متع الله به بعض عباده من زهرة الحياة الدنيا . فالعفة قناعة وزيادة .

أما القناعة التى هى الاكتفاء باليسير من مطالب البدن ، فقد توجد حيث لا توجد العفة ، فقد يقال على رجل أنه قانع لأنه يكتفى بأقل مطالب البدن . ولكن لا يقال عليه أنه عفيف لأنه لا يعف عن الكذب والغيبة والنميمة وأمثالها مما يعف عنه الكرام .

ويرى فريق آخر أن العفة فضيلة ذاتية لا تتغير بتغير الأحوال والأشخاص أما القناعة فنسبية ، فان ما يقنع به صغار الناس وأوساطهم لا تعد القناعة به فضيلة عند غيرهم . كذلك ما يعد قناعة اليوم قد لا يحسن الاقتناع به غدا أو بالعكس[2] .

---

(١) انظر : الاخلاق الاسلامية وأسسها ـ عبد الرحمن الميدانى ، ج ٢ ، ص ٥٦١ .

(٢) الأخلاق فى الاسلام ـ أسعد السحمرانى ، ص ١٠٣

والعفة بالنسبة لجميع الأشخاص والأحوال اما أن يقال هذا الشخص **عفيف أو غير عفيف** .

والعفة لا تكون الا اذا وجد الدافع النفسى الى ما ينافيها ؛ فاذا لم يكن فى النفس دافع الى ما ينافى العفة ؛ أو لم يوجد ما يثير الدافع لم يكن للعفة وجود أصلا .

فاى معنى لعفة من لا ارب له ؛ أو لعفة معتزل فى صومعة لا يتعرض الى اى مثير ؛ انها عفة المحروم . أو عفة عاجز لم يتعرض لامتحان .

ولما كانت عفة يوسف عليه السلام عفة مستوفية كل شروطها وأركانها كانت ما أعظم أمثلة العفة فى تاريخ الانسان . ففى يوسف الرجولة والشباب والدافع القوى ، وفى امرأة العزيز الاثارة بكل قواها . جمال ومنصب . واغراء كامل ، ودعوة ملنهبة ، وخلوة تامة ، وتهديد ان لم يستجب . ومع استيفاء كل هذه العوامل القوية تبرز فضيلة العفة فى يوسف عليه السلام . فيضبط نفسه بصبر منقطع النظير ، ويقاوم الدوافع والمغريات باصرار وعزيمة قوية ترفعا عن الخيانة ، وطلبا لمرضاة الله ، وينتصر خلقه العظيم فى معركة الدوافع والمغريات والتهديدات .

وقد عرض القرآن قصة يوسف مع امرأة العزيز أروع عرض يبرز الساحة النفسية عند يوسف . وساحة الاثارة بكل ملابساتها ، وقوة الضبط الخلقى الذى جعل يوسف عليه السلام يكف عما لا يحل له . ويعطى أروع أمثلة العفة .

فقال تعالى فى سورة ( يوسف ) :

**« وراودته التى هى فى بيتها عن نفسه وغلقت الابواب وقالت هيت لك ، قال معاذ الله ، انه ربى أحسن مثواى ، انه لا يفلح الظالمون . ولقد همت به ، وهم بها ، لولا أن رأى برهان ربه ، كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء ، انه من عبادنا المخلصين . واستبقا الباب وقدت قميصه من**

**دبر والفيا سيدها لدا الباب ، قالت ما جزاء من اراد باهلك سوءا الا ان يسجن او عذاب أليم ﴾ .**

وهكذا كانت عفة يوسف عليه السلام مستوفية لكامل شروطها وأركانها . وبذلك نال مجد هذا الخلق العظيم[1] .

قال تعالى :

**﴿ ولا تقربوا الزنا ، انه كان فاحشة وساء سبيلا ﴾(2) .**

وقال : **﴿ قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ، ذلك أزكى لهم ، ان الله خبير بما يصنعون . وقل للمؤمنات يغضضن من ابصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها ...﴾(3).**

وقال : **﴿ وليستعفف الذين لا يجدون نكاحا حتى يغنيهم الله من فضله ﴾(4) .**

من هذا نفهم أن العفة الاسلامية تطالب المسلم بتجنب الزنا والفاحشة ، وبحفظ فرجه ، وغض بصره عن النظرة الحرام . والفاحشة هى كل اتصال جنسى بين الرجل والمرأة بغير الطريق الشرعى ، وهو الزواج . وهى أيضا كل اتصال جنسى بين الرجل والرجل والمرأة والمرأة بأى طريق كان . فالاسلام يحرم المثلية تحريما مطلقا .

وحفظ الفرج يشمل أيضا تجنب اتيان الزوجة فى الدبر ، وفى أثناء الحيض . وفى أثناء الصيام والاحرام ، ولهذا أمر القرآن المسلمين والمسلمات بغض الأبصار وعدم ابداء الزينة . فذلك أزكى لهن وأطهر .

ويقول النبى صلى الله عليه وسلم : « يامعشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج . فانه أغض للبصر وأحصن للفرج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء » .

---

(1) الأخلاق الاسلامية وأسسها / عبد الرحمن الميدانى ، جـ ٢ : ص ٢٤٥ .
(2) الاسراء : ٣٢
(3) النور : ٣٠ ، ٣١
(4) النور : ٣٣

وفى القـرآن الكـريم اذن بوطء الرجل امرأته فى أى وقت ؛ قال تعـالى : ﴿ **نسـاؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شـئتم** ﴾(١) . قال الرازى رحمـه الله ان هـذه الآية تعنى : أى وقت شـئتم من أوقات الحل ؛ يعنى اذا لم تكن أجنبيـة ، أو محرمة ، أو صـائمة ، أو حائضا (٢) .

وهـذا الاذن ينفى الاثم أو الكراهة عن كثرة الوطء ، أو ما يسميه البعض بالشره مسايرة لنظريات غير اسلامية . ولا يمكن ادانة المسلم الذى يكثر وطء زوجته أو نفى العفة عنه(٣) .

ولكى يمكن الاسـلام من الممارسة الفعلية لم يجعل الزواج أبديا كالمسـيحية مثلا . فأباح الطلاق اذا وقع النفور بين الزوجين ، وعند عجز الزوج أو مرضـه أو اعساره أو غيبته ؛ وأباح للزوج الطـلاق ، والتزوج بأكثر من واحدة على أن يعدل بينهن ، وبهذا فتحت الشريعة للمحصن كل أبواب الحلال وأغلقت دونه باب الحرام . وفضـلا عن هـذا فان المجتمع الاسـلامى الحقيقى يخالف المجتمعات القائمة جذريا لصالح العفة ، فنظمه وقوانينه تعاون الرجال والنساء على التعفف .

بعد كل هـذه الكفالات للعفة يصبح من المنطقى ايقاع عقـوبة رادعة بالزناة ، وخاصة المحصنين منهم ، وهـذا هو بالتدقيق ما تفعله الشريعة الاسـلامية بهم . فالمحصن يرجم حتى الموت ، وغير المحصن يجلد مائة جلدة . يقول عز وجل : ﴿ **الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ...** ﴾(٤) .

فالزنا اعتداء فاحش على الآخرين . وليس مجرد رذيلة ، ولهذا شدد الاسـلام أيضا على القذف ، أو الاتهام الباطل بالزنا ، فجعل عقـوبة

---

(١) البقرة : ٢٢٣
(٢) انظر : التفسـير الكبير / الرازى ـ طهران : دار الكتب العلمية ط ٢ ، ج ٦/٧٣
(٣) مختصر منهاج القاصدين : ص ٣٤٢
(٤) النور : ٢

القذف ثمانين جلدة : ﴿ **والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا باربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا ، وأولئك هم الفاسقون** ﴾(١) .

فالزوج حين يزنى ينكث عهدا ، هو الذى يتضمنه عقد الزواج . وهو عهد خطير لأن موضوعه العرض ، لا المال أو أى عرض آخر محدود القيمة . والزنا طعنة فى الظهر تقترف خفية وتسفر عن انتقال الملك بغير حق . تماما مثل السرقة والخيانة ، لأن ابن السفاح يرث غير أبيه(٢) .

وان عفة رب الأسرة عن المحارم لتكون أبلغ درس فى العفة يلقنه لزوجته وأبنائه . وتهاونه فى ذلك يجر الى فساد بيته وضياع شرفه ولذلك كانت الحكمة الشريفة «عفوا تعف نساؤكم» . وانه ليندر جدا أن ترى فاجرا من بيت عفيف أو عفيفا من بيت فاجر ، وان وجد ذلك — على ندرته — فلابد أن يكون ذلك من تأثير بيئة أخرى غير بيئة المنزل التى هى المزرعة الأولى لبذور الأخلاق والعادات .

وهذا ، وأولى الناس بالعفة والحرص على التحلى بفضيلتها انما هم العلماء والعظماء لأنهم قدوة الدنيا وأئمة الهدى . أقوالهم مأثورة وأفعالهم منظورة ، وهفواتهم عظائم ، وزلتهم أكبر الجرائم . فعليهم أن يعرفوا أقدار أنفسهم ، ويقدروا لها موضعها من الكرامة(٣) .

* * *

---

(١) النور : ٤

(٢) أنظر : الفضائل الخلقية فى الاسلام / أحمد عبد الرحمن ابراهيم . — الرياض . — دار العلوم للطباعة والنشر . ١٤٠٢ هـ ؛ ١٩٨٢م ص ٢٤٣ ( وما بعدها بتصرف ) .

(٣) أنظر : الأخلاق فى الاسلام / اسعد السحمرانى ؛ ص ١٠٦

# المبحث الأول

## السخاء

● **تعريف السخاء :**

هو الجود بما لدى الانسان على الناس • ويتميز من المحبة والاحسان ، كما يتميز من النزاهة •

والسخاء فهو حيوية • والكريم الأصل يعطى ما عنده ، لا ما ليس عنده . وعنده الكثير • صحيح أنه يستطيع أن يحتفظ بما عنده أو على الأقل يقرضه • أو يبادل به شيئا آخر ، أو يبيعه ، أو يؤجره تبعا لقواعد العدالة التعويضية •

لكن السخى يعطى ما عنده ولا يطالب بدفع أى مقابل • « مائة فى مقابل واحد • والسنبلة فى مقابل حبة والشجرة فى مقابل بذرة • لأن هذا هو عدل الله معنا ، ومقياسه الينا ، الذى يجازينا به ••• إن محبة الأب لا تنشد أى مقابل ، ولا حاجة بالولد الى أن يكسبه أو يستحقه »[1] •

والصوفية المسلمون قد خاضوا كثيرا فى هذا الباب • فميزوا أولا بين السخاء ، والجود ، والايثار • فالسخاء هو المرتبة الأولى ثم الجود بعده ، ثم الايثار : « فمن أعطى البعض ، وأبقى البعض فهو صاحب سخاء . ومن بذل الأكثر ، وأبقى لنفسه شيئا فهو صاحب جود • والذى قاس الضرر وآثر غيره بالبلغة فهو صاحب ايثار »[2] •

وقالوا ان الجود اجابة الخاطر الأول : أى المبادرة للعطاء قبل

---

(١) انظر : بحث فى الفضائل / ف . جنكليفتش جـ ٢ : ٩٨٢ . وايضا الأخلاق النظرية / عبد الرحمن بدوى ص ٢١٨ . ( بتصرف ) .

(٢) انظر : الرسالة القشيرية : ص ١٢٣ ــ القاهرة سنة ١٩٥٩

التفكير ، حتى لا يتغير فيما عزم عليه ان فكر وقدر . ولا يجوزون أخذ المقابل أو الثمن عن الاضافة والقرى ويتمثلون بقول الشاعر :

واذا اخذت ثواب ما أعطيته فكفى بذاك لنائل تكديرا

ولهم حكايات كثيرة جدا شواهد على سخائهم وجودهم بكل ما يملكون ، فراجعها فى كتب الصوفية فى باب « الجود والسخاء » . وسخاؤهم اذن من النوع الثانى ، أى المختلط بالمحبة ، والذى يجود حتى بما يكون المرء فى مسيس الحاجة اليه[1] .

وينبغى أن نعرف أنه اذا كان المال مفقودا فإن حال العبد ينبغى أن يكون القناعة وقلة الحرص ، وان كان موجودا فينبغى أن يكون حاله الايثار والسخاء واصطناع المعروف والتباعد عن الشح والبخل فان السخاء من أخلاق الأنبياء عليهم السلام وهو أصل من أصول النجاة .

قال جابر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جبريل عليه السلام قال الله تعالى « ان هذا دين ارتضيته لنفسى ولن يصلحه الا السخاء وحسن الخلق فأكرموه بهما ما استطعتم ، وفى رواية فاكرموه بهما صحبتموه » .

وروى البيهقى فى الزهد أنه سئل صلى الله عليه وسلم أى الأعمال أفضل قال : « الصبر والسماحة وحسن الخلق » .

وقال عبد الله بن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « خلقان يحبهما الله عز وجل ، وخلقان يبغضهما الله عز وجل ، فأما اللذان يحبهما الله تعالى . فحسن الخلق والسخاء ، وأما اللذان يبغضهما الله . فسوء الخلق والبخل ، واذا أراد الله بعبد خيرا استعمله فى قضاء حوائج الناس » .

وقال ابن عمر قال صلى الله عليه وسلم : « ان لله عبادا يختصهم

---

(١) أنظر : الأخلاق النظرية / عبد الرحمن بدوى . ـ الكويت : وكالة المطبوعات ، ١٩٧٥ م ص ٢١٨ ( بتصرف ) .

بالنعم لمنافع العباد فمن بخل بتلك المنافع على العباد نقلها الله عنه وحولها الى غـيره » .

وقال صلى الله عليه وسلم : « اصنع المعروف الى من هو أهله ، والى من ليس بأهله ، فان أصبت أهله فقد أصبت أهله ، وإن لم تصب أهله فأنت من أهله »[1] .

ومن الأسس العامة التى ترجع اليها مجموعه من الفروع والظواهر والمفردات الخلقية المحمودة ؛ خلق حب العطاء . ولهـذا الخلق آثار اجتماعية كريمة وعظيمة وهو عنصر من عناصر علو الفطرة وسمو الطبع ، وارتقاء الانسانية . ورجاحة العقل .

ويأتى فى مقابل هـذا الأساس ضيق النفس ، وشعورها بالأنانية المفرطة التى ينجم عنها البخل والشح وكراهية العطاء ، والرغبة بالاستئثار بكل شيء ، والرغبة بالتسلط على كل شيء . وقبض النفس واليد عن البذل والانفاق على الغير ، من مال أو جاه أو علم أو غير ذلك . ولهذا الخلق المقابل آثار اجتماعية سـيئة جدا وهو عنصر من عناصر هبوط الفطرة ، ودناءة الطبع ، ونقص الانسانية والحرمان من رجاحة العقل .

إن أعظم درجات السخاء والعطـاء الذى لا حـدود له ، والذى لا يكون ابتغاء عوض . وهو من صفات الخالق جل وعلا ، ومن أخلاقه سبحانه . ولذلك جاء فى أسماء الله الحسنى : الوهاب ، والرزاق ، والكـريم .

وعطاء الله سبحانه وتعالى فيض لا ينقطع ولا ينتهى ، وهو فى كل الأحـوال مرتبط بعلمه وحكمته . فهو يعطى خلقه وفق مشـيئته التى تقتضيها حكمته ، دون أن يكون له غاية من عطائه سبحانه أى عوض يرجوه من خلقه . وأما عبادة عباده له فهى لخيرهم وسعادتهم ، ولترقية أرواحهم وتزكية نفوسـهم .

---

(١) انظر : النفس : امراضها وعلاجها فى الشريعة الاسلامية / محمـد الفقى . ـ القـاهرة : مكتبة محمـد صبيح ١٣٩٠ هـ ، ١٩٧٠ م ، ص ( ٢٧٥ ) .

ولذلك فان الله تبارك وتعالى يمد بعطائه فى الدنيا أهل طاعته ، وأهل معصيته ، حتى الكافرين به والجاحدين له .

قال الله تعالى فى سورة الاسراء :

**﴿ من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموما مدحورا . ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكورا . كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك، وما كان عطاء ربك محظورا ﴾(١) .**

فهذا النص يفسر الظاهرة المشهورة فى دنيا الناس ، فيبين أن الله تبارك وتعالى يمد عباده بالعطاء غير المحظور ، أى : الذى لا تستطيع منعه قوة غير قوة الله . فهو يمد أهل الدنيا الذين يريدون العاجلة ، ولكن مالهم فى الآخرة . ويدخر لهم العطاء الآجل الأعظم الى يوم القيامة ، فمنحهم بذلك عطاء الدنيا وعطاء الآخرة فضلا منه وكرما(٢) .

والسخاء والبخل ينقسم كل منهما الى درجات ، فأرفع درجات السخاء الايثار : وهو أن يجود بالمال مع الحاجة اليه ، وانما السخاء عبارة عن بذل ما يحتاج اليه المحتاج أو لغير المحتاج ، والبذل مع الحاجة أشد وكما أن السخاوة قد تنتهى الى أن يسخو الانسان على غيره مع الحاجة فالبخل قد ينتهى الى أن يبخل على نفسه مع الحاجة فكم من بخيل يمسك المال ويمرض فلا يتداوى ، ويشتهى الشهوة فلا يمنعه منها الا البخل بالثمن ولو وجدها مجانا لأكلها ، فهذا بخيل على نفسه مع الحاجة وذلك يؤثر على نفسه غيره مع أنه محتاج اليه فانظر ما بين الرجلين فان الأخلاق عطايا يضعها الله حيث يشاء ، وليس بعد الايثار درجة فى السخاء وقد أثنى الله على الصحابة رضى الله عنهم فقال :

**﴿ ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ﴾(٣) .**

---

(١) الاسراء : ١٨ ــ ٢٠

(٢) انظر : الأخلاق الاسلامية واسسها / عبد الرحمن الميدانى . جـ ٢ : ص ٣٥٨

(٣) الحشر : ٩

وقال النبى صلى الله عليه وسلم : « أيما امرىء اشتهى شهوة فرد شهوته وآثر على نفسه غفر له » .

وقالت عائشة رضى الله عنها ما شبع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أيام متوالية حتى فارق الدنيا ولو شئنا لشبعنا ولكنا كنا نؤثر على أنفسنا[1] .

لقد حث الاسلام على كل أنواع العطاء والسخاء ، وكل صور المعونة والمساعدة بالمال أو بالنفس ، أو بالجاه ، أو بغير ذلك ، مادام العطاء والسخاء فى الخير لا فى الشر .

● **القدوة الحسنة :**

كان الرسول صلى الله عليه وسلم هو القدوة الحسنة والمثل الأعلى فى الجود وحب العطاء ، فقد كان أجود الناس ، وكان أجود ما يكون فى رمضان ، اذ كان فيه كالريح المرسلة .

وقد بلغ صلوات الله عليه مرتبة الكمال الانسانى فى حبه للعطاء والسخاء ، اذ كان يعطى عطاء من لا يحسب حسابا للفقر ولا يخشاه ، ثقة بعظيم فضل الله ، وايمانا بأنه هو الرازق ذو الفضل العظيم .

روى البخارى عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لو كان لى مثل أحد ذهبا لسرنى أن لا يمر على ثلاث ليال وعندى منه شىء الا شىء أرصده لدين » .

ان الرسول صلى الله عليه وسلم يقدم بهذا النموذج المثالى للقدوة الحسنة ، لاسيما حينما نلاحظ أنه كان فى عطاءاته الفعلية مطبقا لهذه الصورة القولية التى قالها ، فقد كانت سعادته ومسرته عظيمتين حينما كان يبذل كل ما عنده من مال .

ثم انه يربى المسلمين بقوله وعمله على خلق حب العطاء والسخاء ، اذ يريهم من نفسه أجمل صورة للعطاء وأكملها .

---

(١) انظر : النفس : أمراضها وعلاجها / محمد الفقى ، ص (٣٧٨) .

أخي المسلم لكي نكون رجلا مسلما بمعنى الكلمة فأحرص على السخاء لأنه من خلق الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، وكذلك فإن له آثار اجتماعية كريمة وعظيمة منها رجاحة العقل وعلو الهمة وسمو الطبع ، وارتقاء الانسانية وحب الله وحب الناس •

جعلنا الله من عبـــاده الأسخياء الأتقياء الذين يعطون من أموالهم ومن عملهم ومن جهدهم دون مقابل يرجون وجه الله سبحانه وتعالى •

* * *

obeikan.com

# المبحث الثانى

## الحيـــاء

● **تعريف الحيـاء :**

قال العلماء : حقيقة الحياء خلق يبعث على ترك القبيح ، ويمنع من التقصير فى حق ذى الحق .

والحياء هو قوام الأخلاق ، وعمادها . والمعيار الذى نستعين به لمعرفة ما يجب ، وما لا يجب ، وما يحسن ، وما لا يحسن ، وهو صفة يتميز بها الانسان عن باقى المخلوقات . فبالحياء يتعفف الانسان على كل ما يشينه ، أو يخدش كرامته ، أو يسىء الى سـمعته ، فهو يربأ أن يزل لسـانه بقول بذىء يخجل من أن يسـمعه الناس منه ، ويعصمه من أن يرتكب الآثام حياء من الله ، وخجلا من رسوله الكريم .

والايمان خلق يوجب على المسلم أن يصون نفسه ، وعرضه ، وماله من الفساد ، لأن الحياء صفة خيرة ، لا تنتج الا خيرا ، قال عليه الصلاة والسلام : « الحياء لا يأتى الا بالخير »[1] .

وأولى بالانسان أن يستحى من الله سبحانه ، فيحفظ كل حاسة فيه ، وكل جارحة من أن تأتى بما يلام عليه عند ربه .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ( الاستحياء من الله حق الحياء أن تحفظ الرأس وما وعى ، والبطن وما حوى ، وتذكر الموت والبلى ، ومن أراد الآخرة ترك زينة الحياة الدنيا ، وآثر الآخرة على الأولى ، فمن فعل ذلك فقد استحيا من الله حق الحياء )[2] ، [3] .

---

(١) رواه البخارى ومسلم .
(٢) رواه الترمذى .
(٣) انظر : الخلق الحميد فى القرآن المجيد / محمد عبد الرحيم عدس .

والحياء من صفات الله عز وجل ، عن سلمان قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان ربكم حي كريم ، يستحي من عبده اذا رفع يديه اليه أن يردهما صفرا »[1] .

والحياء عنصر نبيل في عمل الانسان المسلم وهو رمز الصلاح والاصلاح وهو ملاك الخير قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما كان الفحش في شيء قط الا شانه . ولا كان الحياء في شيء قط الا زانه »[2] . والحياء علامة صادقة على طبيعة الانسان فهو يعلن عن مقدار أدبه وقيمة ايمانه فان الذين يخجلون اذا ظهر منهم ما لا يحبون فهم من معدن نفيس ومن عنصر أصيل ولهذا جعل الاسلام الحياء مما يميز المسلم في خلقه فقال صلى الله عليه وسلم : « ان لكل دين خلقا وان خلق الاسلام الحياء »[3] . بل هو قرين الايمان لأن الايمان صلة بين العبد ومولاه والحياء عاطفة حية يترفع بها المؤمن عن ارتكاب المعاصي والبعد عن سفسف الأمور . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الحياء والايمان قرناء جميعا ، فاذا رفع أحدهما رفع الآخر »[4] .

وفقد الحياء يجعل الانسان بليد الشعور . لا يبالي بالأمور . يرتكب الدنايا . ويقترف الآثام . ويتدرج من سيء الى أسوأ ، وينحدر الى الأسفل . لأن الحجاب اذا مزق عن الوجه . طغى الانسان على كل من حوله ولقد أدرك صدق الرسول صلى الله عليه وسلم : آخر ما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى اذا لم تستح فأفعل ما شئت[5] . فاذا صار الانسان بهذا الوصف لم يؤتمن على شيء قط ، فهو سائب اللسان . يأكل الأموال ، وينهش الأعراض ، كالوحش الكاسر ينطلق وراء الشهوات ، ويدوس كل الكرامات ، غير شاعر برقة ولا باحساس وآلام الآخرين .

---

(١) رواه الترمذي وابو داود والبيهقي .
(٢) رواه الترمذي وابن ماجه وأحمد .
(٣) رواه ابن ماجه .
(٤) رواه الحاكم .
(٥) رواه ابن عساكر .

روى ابن ماجه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« ان الله عز وجل اذا أراد أن يهلك عبدا نزع منه الحياء ، فاذا نزع منه الحياء لم تلقه الا مقيتا ممقتا ، فاذا لم تلقه الا مقيتا ممقتا نزعت منه الأمانة فاذا نزعت منه الأمانة لم تلقه الا خائنا مخونا فاذا لم تلقه الا خائنا مخونا نزعت منه الرحمة ، فاذا نزعت منه الرحمة لم تلقه الا رجيما ملعنا ، فاذا لم تلقه الا رجيما ملعنا نزعت منه ربقة الاسلام »[1] .

فلم لا تتصف بالحياء ــ أخا الاسلام ــ فتستحى من الذى لا يغفل ولا ينام ؟ وتحفظ جوارحك عن الذنوب والآثام وتتذكر لقاء الملك العلام فهو المنعم المفضال يطعمنا من خيره ، ونعيش على أرضه ونستظل بسمائه فحقه علينا عظيم وقدره يقابل بالشكر العميم ولذا قال النبى الأمين : « الحياء خير كله »[2] .

ولم لا تتصف بالحياء مع عباد الله الكرماء فنعطيهم حقهم وتتأدب معهم ونخفض الصوت أمامهم وذلك بين الصغير والكبير والمعلم والمتعلم والأبن وأبيه . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تواضعوا لمن تعلمون منه »[3] .

ولم لا تتصف بالحياء ، فنخجل من أن نظهر برذيلة أو نلوث أنفسنا بقبح المنظر ولذا عندما رأى بعض الصحابة رسول الله مع زوجته فى ناحية المسجد استوقفهم لينبئهم بأنه ليس مع امرأة غريبة عنه ؟ ![4] .

**● من أروع أمثلة الحياء :**

جاء فى وصف موسى عليه السلام أنه كان حييا ستيرا ، حتى كان يستر بدنه ، ويستحيى أن يظهر مما تحت الثياب شيئا حتى مما ليس

---

(١) رواه ابن ماجة . (٢) رواه مسلم .
(٣) رواه الطبرانى وهو حديث ضعيف .
(٤) انظر : الموعظة الحسنة / محمد على ابو عباس ص ١٤٦

بعورة . وبسبب تستره الزائد أذاه بعض بنى اسرائيل فى أقوالهم ، فقالوا : ما يبالغ فى ستر نفسه الا من عيب فى جسمه أو من أدرة هو مصاب بها . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أبى هريرة أنه قال :

« ان موسى كان رجلا حييا ستيرا ، لا يرى شىء من جلده استحياء ، فآذاه من آذاه من بنى اسرائيل ، فقالوا ما تستر هذا التستر الا من عيب أو أدرة . وان الله أراد أن يبرئه ، فخلا يوما وحده ليغتسل ، فوضع ثوبه على حجر . ففر الحجر بثوبه ، فجمح موسى فى اثره يقول : ثوبى يا حجر . حتى انتهى الى ملأ من بنى اسرائيل ، فرأوه عريانا أحسن ما خلق الله . وقالوا : والله ما بموسى من بأس وأخذ ثوبه وطفق بالحجر ضربا ، فوالله ان بالحجر لندبا من أثر ضربه ثلاثا أو أربعا أو خمسا [1] .

وحياء موسى الزائد كان من هته العلية التى تنشد الكمال ، وقد رأى فى ذوقه الرفيع أن ستر بدنه أكثر كمالا من كشفه فكان يستحيى من كشفه لناس .

● **حياء محمد صلى الله عليه وسلم :**

وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم شديد الحياء ، أشد حياء من العذراء فى خدرها .

عن أبى سعيد الخدرى قال : كان النبى صلى الله عليه وسلم أشد حياء من العذراء فى خدرها . فاذا رأى شيئا يكرهه عرفناه فى وجهه[2] ومن شدة حيائه كان لا يرى من زوجاته عوراتهن الكبرى ، ولا يكشف أمامهن عورته ، وفى هذا قالت السيدة عائشة رضى الله عنها : ما رأيت منه صلوات الله عليه ولا رأى منى .

أى : مكان العورة .

عن عائشة قالت : لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحشا

---

(١) رواه البخارى ومسلم .
(٢) رواه البخارى ومسلم .

ولا متفحشا ولا سخابا فى الأسواق • ولا يجزى بالسيئة السيئة . ولكن كان يعفو ويصفح[1] •

وعن على بن ابى طالب كرم الله وجهه . ان يهوديا يقال له فلان خبر ، كان له على رسول الله صلى الله عليه وسلم دنانير . فتقاضى النبى صلى الله عليه وسلم فقال له : « يا يهودى ما عندى ما أعطيك » • قال : فانى لا افارقك يا محمد حتى تعطينى . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اذا اجلس معك » • فجلس معه . فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الظهر والعصر والمغرب والعشاء الاخرة والغداة ، وكان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يتهددونه ويتوعدونه ففطن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما الذى يصنعون به ، فقالوا : يا رسول الله . يهودى يحبسك . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « منعنى ربى ان أظلم معاهدا وغيره » فلما ترجل النهار ، قال اليهودى : اشهد أن لا اله الا الله ، وأشهد أنك رسول الله ، وشطر مالى فى سبيل الله ، أما والله ما فعلت بك الذى فعلت بك ، الا لأنظر الى نعتك فى التوراة ، محمد بن عبد الله ، مولده بمكة ، ومهاجرة بطيبة ، وملكه بالشام ، ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب فى الأسواق ، ولا متزى بالفحش ولا قول الخنا . أشهد أن لا اله الا الله وأنك رسول الله ، وهذا مالى فاحكم فيه بما أراك الله ، وكان اليهودى كثير المال[2] •

خلاصة القول ينبغى أن يكون المسلم رجلا يتحلى بالحياء ويكون الرسول صلى الله عليه وسلم هو القدوة والمثل الأعلى لأنه لا تتم الرجولة الاسلامية فى انسان الا كان الحياء متأصلا فيه لأن الحياء شعبة من شعب الايمان ومن لا حياء له لا ايمان عنده •

* * *

---

(١) رواه الترمذى .
(٢) رواه البيهقى فى دلائل النبوة .

# المبحث الثالث

## الصـــــبر

الصبر عزيمة من أقوى العزائم ، التى تمهد للانسـان طريق حياته الشائك ، وتساعده على السير فى طريق الحياة . بقـدم ثابتة . وقلب وثاب . يخترق معاقل الشدة . وفى النهاية الحظوة بالغرض المنشود .

الصبر وما أدراك ما الصبر ؟ هو نفحة ربانية يهبها الله قلوبا قـد استعدت لتحملها . واستعدت أن تحتفظ بها كهدية نادره . ولا يمكن للانسـان ان يعيش بدونها . اذ بدون الصبر يفنى الانسان أدبيا ، وتطغى عليه مشـاكل الحياة . وتهزه أعاصيرها . ويلين عوده الصلب أمامها ؛ وحينذاك تكون الهزيمة . والموت الذى لا حياة بعده .

والصـبر غال ثمنه . عظيم أثره . هو خلق الأنبياء والمرسـلين . وسـلاح المتقين والمصـلحين . ما نجح رسول ولا زعيم ولا مصـلح الا بالصبر . فهو العدة المنتجة التى توصـل الى الغـايات من أقصر طريق ؛ كل سـلاح فى الحياة يسـتطيع أن يفله الزمن . الا سـلاح الصبر . فانه الذى استطاع أن يهزم الزمن ؛ وصاحبه منصور مهما تلونت عليه الأيام ؛ ولعبت به السنون . وقال أحد الشعراء المحدثين :

يا بائع الصبر لا تشفق على الشـارى
فدرهم الصـبر يسـوى ألف دينـار

● **أسـماء الصـبر :**

ويقرر الغزالى أن الصبر تختلف أسماؤه باختلاف ما يصبر المرء عنه . فهو جماع كثير من الفضـائل ، أو هو نصف الايمان . فان كان صبرا ، عن شهوة البطن والفرج سمى عفة . وإن كان فى احتمال مكروه سمى صبرا ؛ وضده الجزع . وان كان فى احتمال الغنى سمى ضبط

النفس . وضـــده البطر • وان كان فى الحرب سمى شجاعة . وضـــده الجبن . وان كان فى كظم الغيظ سمى حلما ، وضده التذمر وان كان فى نائبة مضجرة سمى ســعة الصدر وضده الضجر • وان كان فى اخفاء كلام ســمى كتمان السر • وان كان عن فضــول سمى زهدا ، وضده الحرص • وان كان صبرا على يسير من الحظوظ سمى قناعة ، وضده الشره •

● **صــورة الصــبر :**

ان الانسان المسلم لكى يكون رجلا محتاج الى الصبر فى كل حال ، فهو يحتاج اليه فى السراء ، كما يحتاج اليه فى الضراء • بل هو اليه فى السراء أحوج . فالرجل كل الرجل من يصبر على العافية • والصبر هنــا يكون بأن يراعى المرء حقوق الله فى ماله بالانفاق ، وفى بدنه ببــذل المعونة للخلق ، وفى لســانه ببذل الصدق •

والطاعة تحتاج الى صبر . لأن النفس بطبعها تنفر من العبودية • وللصبر على الطاعة ثلاث أحــوال : الأولى قبل الطاعة ، وذلك تصحيح النية والاخلاص . والصبر على شوائب الرياء ، والعزم على الاخلاص والوفاء . والثانية حالة العمل ، كى لا يفتر قبل الفراغ منه • والثــالثة بعد انتهائه اذ يحتاج الى الصبر عن افشائه والتظاهر به ، والنظر اليه بعين العجب • ويحتاج الرجل الى الصبر عن المعاصى ، وعلى الأخص التى صــارت مألوفة بالعادة ، اذ تنضاف العادة الى الشهوة • ثم ان كانت المعصية مما يســهل فعله كان الصبر عنها أثقل على النفس ، كالصبر عن معاصى اللسان من الغيبة والكذب ، والمراء والثناء على النفس تعريضا وتصريحا ، والمزح المؤذى للقلوب •

والصبر على أذى الناس فضــيلة ، وأعظم منه الصبر على أنواع البلاء : كموت الأعزة ، وهلاك الأموال ، وزوال الصحة[1] •

---

(١) انظر : الاخلاق عند الغزالى ــ زكى مبارك : بيروت : دار الجيل، ١٤٠٨ هـ ( ١٩٨٨ م ) ص ١٧٨ ، ١٧٩ ( بتصرف ) .

● **فضـــل الصـــبر :**

وفضل الصبر آت من أنه تعبير عن قوة الارادة ، وعن كمال العقل ، والبعد عن الطيش والرعونة . وتعبير عن الحكمة فى معالجة مشـــكلات الحياة . يضـــاف الى ذلك أنه فى مستواه الرفيع ثمرة من ثمرات الفهم عن الله ، وتدبر حكمته العظيمة فى تصريف الأمور ، وامتحان عباده فى هـــذه الحياة . وثمرة من ثمرات الرضى عن الله فيما تجرى به مقاديره ، ولذلك كان الصبر ضياء ، كما ثبت فى الصحيح عن النبى صلى الله عليه وســـلم فيما رواه مســـلم عن أبى مالك الحارث الأشـــعرى اذ قال : « والصبر ضياء »[1] .

وينبغى أن نعلم أن الصبر ينقسم الى ثلاثة أقسام :

الأول : الصبر على طاعة الله .

الثانى : الصبر عن معصية الله .

الثالث : الصبر على ابتلاء الله .

وفى الصنفين الأولين يد لكسب الانسان ، أما الصـــنف الثالث فليست فيه يد للكسب .

ويمكن أن نقول بعد التأمل فى أحوال سيدنا يوسف عليه السلام أن الصـــبر على فراق الأب وعلى الالقـــاء فى البئر أيضـــا من مقامات الصبر ، ولكن رفض طلب امرأة العزيز أعلى أقسام الصبر ، وخاصـــة بالنظر الى الأمور الآتية :

١ ــ الشـــباب .

٢ ــ المكان الخالى .

٣ ــ التجرد .

٤ ــ توفر مشتهى النفس .

٥ ــ التغرب حيث لم يكن ضغط الأقرباء ولا الحياء منهم .

٦ ــ المحكومية .

---

(١) انظر : الأخلاق الاسلامية وأسسها : عبد الرحمن بن حســـن حنبكة الميدانى ــ دمشق : دار القلم ١٣٩٩ هـ ( ١٩٧٩ م ) جـ ٢ ص ٢٩٥

٧ ــ دعوة امرأة جميلة .
٨ ــ وأنواع المكر والخداع مع الطلب المذكور .
٩ ــ الاغراء والتملق .
١٠ ــ التهديد .

فهذه هى الأمور التى يرفع وجودها منزلة يوسف الصديق كثيرا . قال ابن تيمية : ان منزلة الصبر على الطاعات أكمل وأفضل من الصبر على اجتناب المحارم ، فان النبى صلى الله عليه وسلم كان يحب فعل الطاعة أكثر من ترك المعصية ، وخسارة عدم الطاعة أفظع من خسارة وجود المعصية[١] .

ونعلم من قراءة سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم مدى ما قاساه صلى الله عليه وسلم فى تبليغ أحكام الله وتعليم المؤمنين ومن معاملة الخاسرين وتدبير العالمين واعلاء كلمة الحق ، وكيف أنه صلى الله عليه وسلم تحمل المصائب وصبر على الهموم والأحزان !

فكان القذر يلقى حينا لدى بابه حتى يتشتت طبعه ، وكانت الحفرة تحفر حينا فى طريقه وتغطى بالأسلاك الخفيفة وتملأ الحفرة بالأشواك ، حتى يقع فيها حينما يخرج لصلاة الليل وكان الرداء يشد به عنقه حينما يسجد فى صلاته ، ويوضع بعر الابل على ظهره فى حالة الصلاة ، فكان الكفار يضحكون عليه ويسخرون منه ، وكان يرمى بالحجارة ويمنع من قراءة القرآن[٢] .

وقد مضى عليه صلى الله عليه وسلم زمن حبس فيه فى شعب ومنع منه الأكل والماء .

ولكن النبى صلى الله عليه وسلم صبر على ذلك كله حتى أن الله تعالى قد أثنى عليه بقوله : ﴿ **وما صبرك الا بالله** ﴾[٣] .

---

(١) فتاوى ابن تيمية جـ ١٠ ص ٥٧٥ ، ٥٧٦
(٢) سيرة ابن هشام جـ ١ ص ٣٠٨ ، ٣٨٠
(٣) النحل : ١٢٧

فالأجدر بمثل هذا الرسول أن يجعل الصبر لباس التجمل والشوكة والوقار فيقول : « الصبر ردائى » .

صلى الله تعالى على حبيبه بقدر صبره على بلائه وشكره على آلائه وبارك وسلم[1] .

فالمؤمن شاكر لله تعالى صابر على ما يصيبه ، والاسلام الذى يقبل من الانسان أن يتعمد تعذيب نفسه وقهرها بطريقة عشوائية . يطلب بالمقابل منه أن يروض نفسه على الصبر وتحمل المكاره ، والاناة فى لحظات الشدة وأن يكون تعبيره فى أحلك الظروف : ( حسبى الله ونعم الوكيل ) ، ( انا لله وانا اليه راجعون ) .. الخ . ان الأمر عام مطلق لكل المؤمنين أن يتحلوا بأخلاق الصبر فى أكثر من آية قرآنية منها : **﴿ يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة ، ان الله مع الصابرين ﴾(٢)** .

وعلينا أن نعلم بأن الصبر لا يستطيعه الا مؤمن باع نفسه لله ، أو حليم يمتاز بقدرة فائقة على تلقى الأمور بهدوء أعصاب وترو . ولذلك صنف الصبر بين عظائم المواقف التى يقدم عليها الانسان ، وفى ذلك قال الله تعالى : **﴿ يا بنى أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك ، ان ذلك من عزم الأمور ﴾(٣)** .

نستفيد من هذه الآية بأن رسالة الانسان هى عبادة الله تعالى ، ونشر الفضيلة بواسطة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، ولكن هذه الرسالة تستلزم الثبات والتضحية من أجل الوصول الى تحقيق الغاية

---

(١) انظر : رحمة للعالمين : محمد سليمان سلمان المنصور فورى ـ تعريب مقتدى الأزهرى ـ الهند : الدار السلفية . ١٤١٠ هـ ( ١٩٨٩ م ، جـ ٣ ص ٢٨٢

(٢) البقرة : ١٥٣ (٣) لقمان : ١٧

المنشودة ولا يكون ذلك الا بالصبر على كل ما يبتلى به الفرد أو يصيبه من أجل الوصول الى ما فيه الخير[1] .

وأخيرا نقول أن الصبر فضيلة صعبة المنال ، لأن الذين يثبتون على « ما يشق على النفس » ، ويتحملون البأساء والضراء لا يمكن أن يكونوا أفرادا عاديين ، انهم رجال ذو قدرات روحية وطاقات خلقيـة متميزة ، وايمان بالله لا يتزعزع .

* * *

(١) أنظر : فى الأخلاق الاسلامية والانسانية : على معبد فرغلى ـ القـاهرة : دار الكتاب الجامعى ، ١٤٠٥ هـ ( ١٩٨٥ م ) ص ١٢٧



obeikan.com

# المبحث الرابع

## التسـامح

الانسـان فى نظر الدين الاسلامى أكرم ما فى هـذا الوجود ، فهو مكرم عند الله ابتداء من آدم عليه السلام ، والى أن يرث الله الأرض ومن عليهـا .

والى هـذه الكرامة للانسان يشـير القرآن الكريم بوضـوح اذ يقول الله تعالى وهو أصدق القائلين :

**﴿ ولقـد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا ﴾(١) .**

فهذا نص واضح بأن الله تعالى كرم الانسان كانسان من غير اعتبار آخر من دين أو لغة أو قومية او لون . فالناس جميعا فى عرف الاسلام أخوة متساوون ليس لأحد فضل على آخر الا بما يقدمه من خير للناس . أو يدفع شرا عنهم . وكلهم أولاد أب واحد وأم واحدة :

**﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء ﴾(٢) .**

ففى القرآن الكريم والسنة الشريفة نصوص كثيرة واضحة تركت الجسـور مفتوحة بين المسـلمين وغيرهم من الناس ، وقد قررت تلك النصوص أن الانسـان هو مخلوق الله المكرم المختـار ، وأنه خليفته سبحانه فى الأرض . فكتسب الانسـان فى التصور الاسلامى حصانة ،

---

(١) الاسراء : ٧٠
(٢) النساء : ١

ترتفع فوق الأجناس والألوان حتى الأديان ، وهـذه الحصانة مترتبة على حقيقة كونه انسانا خلقه الله فى أحسن تقويم ، ونفخ فيه من روحه وكرمه أعظم تكريم .

كل انسان له فى الاسلام قدسية الانسان ، وبهذه الكرامة يحمى أعداءه كما يحمى أبناءه وأولياءه ، انه يحمى أعداءه فى حياتهم ، ويحميهم بعـد موتهم ، يحميهم فى حيـاتهم فيحول دون قتالهم الا اذا بدأوا بالعـدوان ، ويحميهم فى ميدان القتال نفسـه ، اذ يؤمنهم من النهب والسلب والاغتيال والغدر ، ثم يحميهم بعد موتهم ، اذ يحرم أجسادهم على كل تشويه أو تمثيل ، كما جاء فى الأحاديث : « أليسوا أناسى ؟ فلهم كرامة الانسان ... » .

هـذه الكرامة التى كرم بها الله الانسانية فى كل فرد من أفرادها ، هى الأساس الذى تقوم عليها العلاقات بين بنى آدم .

فلننظر الى هذا النص القرآنى العظيم :

**﴿ انه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد فى الأرض فكانما قتل الناس جميعا ، ومن أحياها فكانما أحيا الناس جميعا ﴾(1) .**

فهل هناك تصور أشد من هـذا التصور البالغ القوة فى الدلالة على بشاعة جريمة قتل الانسان ظلما بغير حق .

فان قتل الانسان ظلما ليس عدوانا على الفرد فقط ، ولا عدوانا على المجتمـع الذى يعيش فيـه فحسب ، ولكنه شىء أكبر وأفدح : انها عند الله سـبحانه عدوان على الناس جميعا ، عدوان على الجنس البشرى بأسره « فكأنما قتل الناس جميعا » .

فالحديث فى الآية الكـريمة عن النفس البشرية وعن الناس دون

---

(1) المـائدة : ٣٢

تفرقة بين لون أو جنس أو دين . وان الآية كما يقول السيد رشيد رضا رحمه الله « تعلمنا ما يجب من وحدة البشر ، وحرص كل منهم على حياة الجميع ، واتقائه ضرر كل فرد ، لأن انتهاك حرمة الفرد انتهاك لحرمة الجميع . والقيام بحق لفرد من حيث أنه عضو من النوع ، وما قرر له من حقوق المساواة فى الشرع ، قيام بحق الجميع » .

هكذا تظل قيمة الانسان فى التفكير الاسلامى ، ويأتى التأكيد عن القيمة المطلقة للانسان ، فى قوله تعالى :

**﴿ يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، ان أكرمكم عند الله أتقاكم ، ان الله عليم خبير ﴾(١) .**

وهذه الآيات من أواخر ما نزل من القرآن ، وهى نص مباشر يخاطب الخلق كافة من كل جنس ولون وملة .

هذا هو الدين الاسلامى من منبعه الأصيل من القرآن الكريم ، واذا ألقينا نظرة سريعة على السنة الشريفة نجد الكثير والكثير من النصوص التى تؤكد على وحدة البشرية ، والرأفة بهم(٢) .

قال تعالى : **﴿ فبما رحمة من الله لنت لهم ، ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك ، فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الأمر ، فاذا عزمت فتوكل على الله ، ان الله يحب المتوكلين ﴾(٣) .**

الاسلام دين الرحمة والتسامح وفى هذا القول الكريم اشارة الى طبيعة الرسول الخيرة لرحيمة اللينة المعدة لأن تتجمع عليها القلوب وتتآلف حولها النفوس .

وقد وجه الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم كثيرا الى خلق التسامح والرفق فى مثل قوله تعالى :

**﴿ ادفع بالتى هى أحسن ﴾ . ﴿ فاصفح الصفح الجميل ﴾ .**

وقوله : **﴿ خذ العفو وأمر بالعرف واعرض عن الجاهلين ﴾ .**

---

(١) الحجرات : ١٣

(٢) انظر : الملتقى الاسلامى المسيحى الثالث لحقوق الانسان ص ٥٣ وما بعدها .

(٣) آل عمران : ١٥٩

وفى قراءة سريعة لتاريخ الرسول نجد أن مبدأ التسامح قد طبقه فى علاقاته مع المشركين وغيرهم فى السلم والحرب وفى المعاهدات كما طبقه فى حياته الخاصة والعامة . ولا شك أن أبرز ما يكون التسامح عند الانتصار ولذلك عندما فتح الله عليه مكة قال لقريش :

« ما تظنون أنى فاعل بكم » قالوا : أخ كريم وابن أخ كريم فقال الرسول الكريم أقول لكم ما قاله أخى يوسف لأخوته : « لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لى ولكم اذهبوا فأنتم الطلقاء » .

والتسامح الذى يدعو اليه الاسلام لا يتفق مع فرض الوصاية على الآخرين ولا مع الاكراه والعنف والتشـــدد لأن التسامح حب ورحمة ووحدة أما العنف فقسوة وغلظة وتفرق وضعف ..

هـــذا ولا يسمح الاسلام بالتسامح مع الشر والأشرار لأن مثل هذا التسامح يوسع دائرة الشر ويفتح الباب للاضرار بالناس وبمقدساتهم وحرماتهم التى يعمل الاسلام على صيانتها انطلاقا من المبدأ الاسلامى الذى يقول : لا ضرر ولا ضرار .

الدين فى حقيقته كما يريده الله طريق حب للناس وسلام فيما بينهم كمال قال صلى الله عليه وسلم : « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفســـه »[1] .

ويقول تعالى : ﴿ **ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى ، يعظكم لعلكم تذكرون** ﴾[2] .

فالنصوص متضافرة فى الاســـلام بأن الانسان أخو الانسان ، والناس من جميع العالم والأجناس والألوان اخوة لأب وأم ، لذلك فتح أبوابه أمام جميع الناس ، وان كل ما يخالف هـــذا المبدأ فانه يتناقض مع المبدأ الاسلامى الصحيح ، وكل انتقاص من قيمة الانسان هو تشويه بالغ لتعاليم الاسلام بل هو عدوان على حدود الله يجب رده وتصحيحه .

ان التاريخ لا يزال حتى اليوم يقف موقف الاجلال والاكبار للذين

---

(١) رواه البخارى ومسلم .  (٢) النحل : ٩٠

أظهروا سماحة الدين فى حكمهم وفتوحاتهم ، كما يصب لعنته وسخطه واحتقاره للذين قاموا بأبشع صور التعصب فى انتصاراتهم وسيطرتهم..

حين دخل عمر بيت المقدس ، وأعطى أهلها أمانا على معابدهم وكنائسهم وعقائدهم وأموالهم ، كان مثالا لصاحب الدين فى سماحته ونفسه الانسانية الكبيرة .

وحين دخل السلطان محمد الفاتح القسطنطينية . وأعطى بطريركها سلطانا داخليا على رعيته . لا يتدخل فى عقائدهم ولا فى عباداتهم ، كان مثالا لرجل الدين الذى يتسع صدره للناس جميعا ، والذى يرى أن من حق الناس أن يعبدوا الله أحرارا كما يشاءون[1] .

وقد رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم أحد فتية الأنصار وقد شق على جمله فقال له : « ألا تتقى الله فى هذه البهيمة التى ملكك الله اياها » .

النصوص كثيرة جدا فى الكتاب والسنة التى تعبر بوضوح عن التسامح الانسانى . وان الناس أخوة لأب وأم ، وأن العدل والاحساس والأخلاق العالية هى الأساس المتين الذى بنى عليه الاسلام .

ولا نستطيع أن نورد كل ما قيل فى موضوع تسامح المسلمين ومعاملتهم مع غيرهم ، يقول سيد سابق فى فقه السنة : علاقة المسلمين بغيرهم علاقة تعارف . وتعاون ، وبر وعدل .

التسامح خلق من أخلاق المسلم الرجل وسمة بارزة من علامات الرجولة فى الاسلام ، ويجب أن يتعامل المسلم بتسامح مع جميع الناس سواء كانوا مسلمين أو غير مسلمين .

لأننا أهل دين يستنكر جميع أنواع التمييز الدينى والعنصرى والطائفى ونعتقد اعتقادا جازما ومخلصا بأن البشر اخوة ، وتنفى التعصب والتمييز القائم على أساس الدين والعقيدة .

اللهم اجعلنا من المتسامحين الذين يتميزون بالتسامح فى كل تصرفاتهم لأن التسامح سلاح قوى فى محبة الناس .

* * *

(١) انظر : أخلاقنا الاجتماعية/مصطفى السباعى (ص١٠٠ بتصرف).

# المبحث الخامس

## القنـــاعة

تعريف القناعة : هى رضا النفس بما قسم لها من الرزق .

قال الله تعالى : ﴿ **من عمـل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حيـاة طيبـة** ﴾(١) .

قال أكثر المفسرين : الحياة الطيبة فى الدنيا هى القناعة ، والقناعة موهبة من الله عز وجل .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « القناعة كنز لا يفنى » .

وعنه عليه الصلاة والسلام : « من أراد صاحبا فالله يكفيه ، ومن أراد مؤنسا فالقرآن يكفيه . ومن اراد كنزا فالقناعة تكفيه ، ومن أراد واعظا فالموت يكفيه . ومن لم يكفه هـذه الاربع فالنار تكفيه » .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كن ورعا تكن أعبد الناس ، وكن قنعا تكن أشكر الناس ، وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مؤمنا ، وأحسن مجاورة من جاورك تكن مسلما ، وأقل من الضحك فان كثرة الضحك تميت القلب » .

وقيل : الفقراء أموات . الا من أحياه الله تعالى بعز القناعة .

قال بشر الحافى : القناعة : ملك لا يسكن الا فى قلب مؤمن .

وقيل : القناعة من الرضا بمنزلة الورع من الزهد ، هـذا أول الرضا وهـذا أول الزهد .

وقيل : القناعة : السكون عند عدم المـألوفات .

وقال أبو بكر المراغى : العاقل من دبر أمر الدنيا بالقناعة والتسويف

---

(١) النحل : ٩٧

وأمر الآخرة بالحرص والتعجيل ، وأمر الدين بالعلم والاجتهاد .

وقيل : القناعة : ترك التشوف الى المفقود ، والاستغناء بالموجود .

وقيل فى معنى قوله تعالى : ﴿ **ليرزقنهم الله رزقا حسنا** ﴾ (١) . يعنى القناعة .

وقال محمد بن على الترمذى : القناعة : رضا النفس بما قسم لها من الرزق .

وقال وهب : ان العز والغنى خرجا يجولان ، يطلبان رفيقا ، فلقيا القناعة فاستقرا فيها .

وفى الزبور : القانع غنى وان كان جائعا .

وفى التوراة : ( قنع ابن آدم فاستغنى . اعتزل الناس فسلم . ترك الحسد فظهرت مروءته . تعب قليلا فاستراح طويلا ) .

وقيل لبعضهم : من أقنع الناس ؟

فقيل : أكثرهم للناس معونة ، وأقلهم عليهم مؤونة .

وقيل : وضع الله تعالى خمسة أشياء فى خمسة مواضع :

العز فى الطاعة ، والذل فى المعصية ، والهيبة فى قيام الليل والحكمة فى البطن الخالى ، والغنى فى القناعة .

وقال بعضهم : انتقم من حرصك بالقناعة كما تنتقم من عدوك بالقصاص .

وقيل فى قوله تعالى : ﴿ **ان الأبرار لفى نعيم** ﴾(٢) **هو** القناعة فى الدنيا ، ﴿ **وان الفجار لفى جحيم** ﴾(٣) هو الحرص فى الدنيا .

وقيل فى قوله تعالى : ﴿ **هب لى ملكا لا ينبغى لأحد من بعدى** ﴾(٤) **أى : مقاما فى** القناعة أنفرد به من أشكالى ، وأكون راضيا فيه بقضائك .

---

(١) الحج : ٥٨
(٢) الانفطار : ١٣
(٣) الانفطار : ١٤
(٤) سورة ( ص ) : ٣٥

وقيل فى قوله تعالى : ﴿ **لأعذبنه عذابا شديدا** ﴾(١) **يعنى لأسلبنه** القناعة : ولأبتلينه بالطمع ؛ يعنى : أسأل الله تعالى أن يفعل به ذلك .

**وقيل لأبى يزيد : بما وصلت الى ما وصلت اليه ؟**

فقال : جمعت أسباب الدنيا ، فربطتها بحبل القناعة ، ووضعتها فى « منجنيق » الصدق . ورميت بها فى بحر اليأس ، فاسترحت .

وقيل ن أبا يزيد غسل ثوبه فى الصحراء مع صاحب له فقال له صاحبه نعلق الثياب فى جدران الكروم ، فقال : لا تغرز الوتد فى جدران الناس . فقال نعلقه فى الشجرة فقال لا لأنه يكسر الأغصان فقال نبسطه على الحشيش فقال لا لأنه علف الدواب .

ثم ولى بظهره للشمس والقميص على ظهره حتى جف جانبه ثم قلبه حتى جف الجانب الآخر(١) .

والقناعة هى الرضا بالقسمة ، كما قال لبيد الشاعر :

فمنهم سعيد آخذ بنصيبه ومنهم شقى بالمعيشة قانع

فمن قنع فقد عز ، ومن طمع فقد ذل ، لأن القانع لا يذله الطلب ، فلا يزال عزيزا .

وفى المثل العربى المشهور : خير الغنى القنوع ، وشر الفقر الخضوع .

فالمسلم لا يستطيع بحال من الأحوال أن يستغنى عن القناعة ، فانه اذا حدث ذلك ، فمعناه ــ ونعوذ بالله من ذلك ــ السخط على قدر الله وعدم الرضا بما قسمه . فان الغنى الحقيقى ، انما هو فى القناعة .

يروى لنا امام الحفاظ ابن عساكر عن سعد ــ رضى الله عنه ــ

---

(١) النمل : ٢١

(٢) انظر : روضة الطالبين وعمدة السالكين / أبى حامد الغزالى . ــ بيروت : دار النهضة الحديثة ، ( ص ١٨٣ وما بعدها بتصرف ) ؛ وانظر : الرسالة القشيرية / القشيرى . ــ القاهرة : دار الكتب الحديثة ١٣٨٥ هـ ؛ ١٩٦٦ م ( ص ٣٨٢ وما بعدها بتصرف ) .

أنه قال لابنه : يابنى . اذ طلبت الغنى ، فاطلبه بالقناعة ، فانه ان لم يكن له قناعة لم يغنه مال .

ومن خلال الآيات القرآنية تتعلم مفهوم القناعة ومن خلال الأحاديث النبوية . والآثار السلفية نعرف فضلها . والطريق اليها .

وعندما يعود أهل الاسلام الى العمل بالقنعة ، فسوف يعودون الى ما كانوا عليه من مجد وحضارة ، وسوف يتخلصون من حب الدنيا ، وأغلالها . وسوف يعلمون أنهم لا يضرهم ما أصابوا من الدنيا ، ما أصبحوا وأمسوا على الايمان والاسلام .

قال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه :

ما يضر عبدا يصبح على الاسلام ويمسى عليه ، ماذا أصاب من الدنيا .

والقناعة فى حقيقتها انما تكون بالقلب ، فاذا غنى قلب العبد غنيت يداه ، واذا افتقر قلبه لم ينفعه غناه . ومن قنع لم يتسخط على القضاء والقدر ، وعاش آمنا مطمئنا الى رزقه ، وعمله وأجله .

والعبد اذا قنع صار عفيفا ، فاذا رأى نعمة على غيره لم يحسده . ولم يتشوف اليها ، واذا كان فقر لم يسأل سوى الله ، ولم يثق الا فى اعانة الله[1] .

فالتعفف نتيجة حتمية للقناعة . فمع القناعة والتعفف يعيش المسلم راضيا بما قسم له من الرزق .

● حديث الشعراء عن القناعة لابن المثنى :

اذا قل مالى ازددت فى همتى غنى
عن النـاس والغانى بما نال قانع

---

(١) انظر : القناعة والتعفف / ابن أبى الدنيا ، ـ تحقيق مجدى السيد ابراهيم ـ القاهرة : مكتبة القرآن ، ( د . ت ) ، ص ( ٦ ، ٧ بتصرف ) .

وفى النـاس من لم ينل بك راحة
وفى الصـبر عز للضراعة قاطـع
ومن لا يزال يستتبع العين ما رأى
لدى عزة يلقى الردى وهو ضارع
جنابى لم يوقع الضيم فى حمى منيع
و ( ... ) بالغرامة واسـع
وانى لأسـتبقى اذا العسر منى
بشـاشة وجهى حين تبلى المنـافع
مخـافة أن اقلا اذا جئت زائرا
وترجعنى نحـو الرجـال المطـامع
فرب جـامع مـال ليس آكلـه
ومستعد ليـوم ليس فى العـدد
ركبت الى دارك الصـغر
ودارك قـدامك الكـبرى
ومن صـار فـوق سرير البـلى
فقـد صـار فى صـورة أخـرى
سـيأتيك رزقك فى وقتـه
ولـو كنت فى كبد الشـعرى

والقنـاعة علامة من علامات الرجولة فى الاسـلام ولكى يكون الانسـان رجلا ينبغى عليه أن يتحلى بفضيلة القناعة لأن القناعة تجعل الانسـان راضيا بما قسم له الله سبحانه وتعالى من الرزق • وتجعله يقوم على مساعدة وخدمة النـاس . والقناعة تجعل النـاس يقدرونك ويحبونك •• لأن القانع لابد أنه يمتاز برجاحة العقل وحسن التفكير •• لأنه لا ينظر الى ما فى أيدى الناس •

اللهم قنعنا بمـا رزقتنا •• واجعلنـا من الرجال الذين يمتازون ويتحلون بالقناعة ••

* * *

# المبحث السادس

## الورع

**معنى الورع لغة** : الورع محركة التقوى والتخرج والكف عن المحارم[1] .

وأصل الورع : الكف عن المحارم ، ثم استعير للكف عن الحلال والمباح .

**أما معناه الشرعى** الورع هو اجتناب الشبهات خوفا من الوقوع فى المحرمات[2] .

وقيل هو : ملازمة الأعمال الجميلة .

وللحافظ المحقق ابن القيم رحمه الله كلام نفيس فى الورع فى كتابه القيم « مدارج السالكين » رأيت من نقله هنا ؛ لعلاقته الوثيقة بمبحثنا هذا . فقد تكلم فيه عن الورع وتعريف السلف له وأنواعه ودرجاته . قال رحمه الله تعالى :

ومن منازل « اياك نعبد واياك نستعين » منزلة « الورع » .

قال تعالى : ﴿ **يا ايها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا ، انى بما تعملون عليم** ﴾(3) .

وقال تعالى : ﴿ **وثيابك فطهر** ﴾(4) .

قال قتادة ومجاهد : نفسك فطهر من الذنب . فكنى عن النفس بالثوب . وهذا قول ابراهيم النخعى والضحاك ، والشعبى والزهرى .

---

(1) انظر : تاج العروس ـ الزبيدى ٢٢/٣١٣ ـ ٣١٤

(2) انظر : التعريفات ـ الجرجانى ، ص ٢٥٢

(3) المؤمنون : ٥١ (4) المدثر : ٤

والمحققين من أهل التفسير • قال ابن عباس . لا تلبسها على معصيه ولا غدر • ثم قال : أما سمعت قول غيلان بن سلمة الثقفى •

والعرب تقول فى وصف الرجل بالصدق والوفاء : طاهر الثياب • وتقول للغادر والفاجر : دنس الثياب • وقال أبى بن كعب : لا تلبسها على الغدر والظلم والاثم • ولكن البسها وأنت بر طاهر •

وقال الضحاك : عملك فأصلح • قال السدى : يقال للرجل ، اذا كان صالحا : انه لطاهر الثياب . واذا كان فاجرا أنه لخبيث الثياب •

وقال سعيد بن جبير : وقلبك وبيتك فطهر • وقال الحسن والقرظيى : وخلقك فحسن •

وقال ابن سيرين وابن زيد : أمر بتطهير الثياب من النجاسات التى لا تجوز الصلاة معها • لأن المشركين كانوا لا يتطهرون . ولا يطهرون ثيابهم •

وقال طاووس : وثيابك فقصر • لأن تقصير الثياب طهرة لها • والقول الأول أصح الأقوال •

ولا ريب أن تطهيرها من النجاسات وتقصيرها من جملة التطهير المأمور به ، اذ به تمام اصلاح الأعمال والأخلاق • لأن نجاسة الظاهر تورث نجاسة الباطن • ولذلك أمر القائم بين يدى الله عز وجل بازالتها والبعد عنها •

والمقصود أن الورع يطهر دنس القلب ونجاسته ، كما يطهر الماء دنس الثوب ونجاسته . وبين الثياب والقلوب مناسبة ظاهرة وباطنة • ولذلك تدل ثياب المرء فى المنام على قلبه وحاله ، ويؤثر كل منهما فى الآخر • ولهذا نهى عن لباس الحرير والذهب وجلود السباع ، لما تؤثر فى القلب من الهيئة المنافية للعبودية والخشوع • وتأثير القلب والنفس فى الثياب أمر خفى • يعرفه أهل البصائر من نظافتها ودنسها ورائحتها ،

وبهجتها وكسفتها ؛ حتى أن ثوب البر ليعرف من ثوب الفاجر . وليسا عليهما .

وقد جمع النبى صلى الله عليه وسلم الورع كله فى كلمة واحدة . فقال : « من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه »[1] .

فهنا يعم الترك لما لا يعنى : من الكلام . والنظر ، والاستماع . والبطش . والمشى . والفكر . وسائر الحركات الظاهرة والباطنة . فهذه الكلمة كافية شافية فى الورع .

وقال ابراهيم بن أدهم : الورع ترك كل شبهة . وترك ما لا يعنيك هو ترك الفضلات . وفى الترمذى مرفوعا الى النبى صلى الله عليه وسلم « يا أبا هريرة كن ورعا . تكن أعبد الناس » ثم يتابع ابن القيم فيقول : قال صاحب المنازل :

« الورع . توق مستقصى على حذر . وتحرج على تعظيم » .

يعنى أن يتوقى لحرام والشبه . وما يخاف أن يضره أقصى ما يمكنه من التوقى . لأن التوقى والحذر متقاربان . الا أن التوقى فعل الجوارح والحذر فعل القلب . فقد يتوقى العبد الشىء لا على وجه الحذر والخوف . ولكن لأمور أخرى : من اظهار نزاهة ، وعزة وتصوف . أو اعتراض آخر . كتوقى الذين لا يؤمنون بمعاد ، ولا جنة ولا نار ما يتوقونه من الفواحش والدناءة . تصونا عنها . ورغبة بنفوسهم عن مواقعتها . وطلبا للمحمدة ، ونحو ذلك .

وقوله « أو تحرج على تعظيم » يعنى أن الباعث على الورع عن المحارم والشبه اما حذر حلول الوعيد . واما تعظيم الرب جل جلاله ، واجلالا له أن يتعرض لما نهى عنه .

---

(١) اخرجه الترمذى وحسنه جـ ٤ ص ٥٨٨ ، وابن ماجه جـ ٢ ص ١٣١٥ — ١٣١٦

فالورع عن المعصية : اما تخوف ، أو تعظيم • واكتفى بذكر التعظيم عن ذكر الحب الباعث على ترك معصية المحبوب ، لأنه لا يكون الا مع تعظيمه • والا فلو خلا القلب من تعظيمه لم تستلزم محبته مخالفته • كمحبة الانسان ولده وعبده وأمته • فاذا قارنه التعظيم أوجب ترك المخالفة •

وقال وهو على ثلاث درجات . الدرجة الأولى : تجنب القبائح لصون النفس ، وتوفير الحسنات . وصيانة الايمان • هذه ثلاث فوائد من تجنب القبائح •

وهذه الأمور الثلاثة ــ وهى صون النفس ، وتوفير الحسنات ، وصيانة الايمان هى أرفع من باعث العامة على الورع ، لأن صاحبها أرفع همة ، لأنه عامل على تزكية نفسه وصونها ، وتأهلها للوصول الى ربها ؛ فهو يصونها عما يشينها عنده ، ويحجبها عنه ، ويصون حسناته عما يسقطها ويضعها ، لأنه يسير بها الى ربه • ويطلب بها رضاه ، ويصون ايمانه بربه : من حبه له ، وتوحيده ، ومعرفته به ، ومراقبته اياه عما يطفىء نوره ، ويذهب بهجته ، ويوهن قوته •

فالورع يخلص العبد من قربان هذه وتعدى هذه • وهو اقتحام الحدود وقسم الراغب الأصفهانى الورع الى ثلاث مراتب :

١ ــ واجب : وهو الاحجام عن المحارم ، وذلك للناس كافة •

٢ ــ وندب : وهو الوقوف عن الشبهات ، وذلك للأواسط •

٣ ــ وفضيلة : وهو الكف عن كثير من المباحات والاقتصار على أقل الضرورات ، وذلك للنبيين والصديقين والشهداء والصالحين[1] •

---

(١) الذريعة الى مكارم الشريعة ــ الراغب الأصفهانى ــ بيروت : دار الكتب العلمية ، ص ٢١٦ ، ٢١٧

حدثنا ابراهيم بن سعيد قال حدثنا عبد العزيز قال سمعت سفيان يقول : عليك بالورع يخفف الله حسابك . ودع ما يريبك الى ما لا يريبك . وادفع الشك باليقين يسلم لك دينك[1] .

ـ حدثني عبد الرحيم بن يحيى قال حدثنا عثمان بن عمارة عن شيخ قال : خرجت من « البصرة » أريد عسقلان . فصحبت قوما حتى وردنا بيت المقدس فلما أردت ان أفارقهم . قالوا لي : نوصيك بتقوى الله ولزوم درجة الورع . فان الورع يبلغ بك الى الزهد في الدنيا . وان الزهد في الدنيا يبلغ بك حب الله . قلت لهم فما الورع ؟ فبكوا حتى تقطع قلبي رحمة لهم ثم قالوا : يا هذا ! الورع : محاسبة النفس . قلت : وكيف ذاك ؟ قالوا : تحاسب نفسك مع كل طرفة وكل صباح ومساء . فاذا كان الرجل حذرا كيسا . لم يخرج عليه الفضل . فاذا دخل في درجة الورع احتمل المشقة وتجرع الغيظ والمرار وأعقبه الله روحا وصبرا ؛ واعلم أن الصبر من الايمان بمنزلة الرأس من الجسد . وملاك هذا الأمر الصبر ؛ وأما الزهد فهو أن يقيم الرجل على راحة تستر اليها نفسه ؛ وأما الحب لله فهو مستقل لعله أبدا . وان ضيق واحتبس عليه رزقه فهو في ضيق ذلك لا يزداد لله الا حبا ومنه الا دنوا . وذكر الحديث بطوله[2] .

والورع علامة بارزة من علامات الرجولة في الاسلام ولكي يكون المسلم رجلا بمعنى الكلمة لابد أن يكون ورعا في كل شيء في المأكل والمشرب في تجنب القبائح لصون النفس وتوفير الحسنات وصيانة الايمان . فالقبائح تسود القلب . وتطفيء نوره . والايمان هو نور القلب . جعلنا الله من عباده الذين يملأ الايمان قلوبهم بالتقوى والورع .

* * *

(١) اخرجه ابو نعيم في الحلية جـ ٧ ص ٢٠

(٢) رواه الذهبي في الميزان جـ ٢ ص ٦٠٨ ، وذكر في ترجمة عثمان : جـ ٣ ص ٥٠